الآفاق
السنة الرابعة
الـ ١٢٥
الإثنين ٢٧ ربيع الثاني ١٤٤٧ هـ.ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي رضا مكتب دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري
مسئول الطبع: مصطفى اويسى • طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨ +

مقالة

النقد والتقويم الداخلي في نهج الإمام الصادق عليه السلام

الشيخ حسن الصفار

الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. [سورة النساء، الآية: ٤٩].

حدوث الثغرات والانحرافات أمر طبيعي في أيّ مجتمع بشري، قد ينشأ الخلل من داخل المجتمع بانتشار أفكار سيئة، أو ظهور سلوك منحرف، وقد يتسلّل الخلل إلى المجتمع بفعل تأثيرٍ أو إرادةٍ من خارجه. لكنّ المجتمعات تتفاوت في مستوى الاهتمام برصد واقعها، واستكشاف نقاط الضعف والخلل فيه، والاعتراف بها، والمبادرة إلى معالجتها. هناك مجتمعات تعيش حال الاسترسال، ولا تبدي اهتمامًا بدراسة واقعها، وتسليط الضوء على مناطق الضعف والخطأ في مسيرتها، فتتسع فيها الثغرات، وتتراكم الأخطاء، وتتجذّر الانحرافات. وحينما تكون في المجتمع قيادة مخلصة، ونخبة واعية، فإنّ عليها أن تتحمّل مسؤولية تنبيه المجتمع لنقاط ضعفه، وتوجيهه لمحاصرتها ومعالجتها. وهي مهمّة ليست سهلة، بل تكتنفها صعوبات بالغة.

عقبات أمام النقد والتقويم

بعض المجتمعات تسودها حالة نرجسية، لذلك ترفض النقد والتقويم، وتدافع عن كلّ شيءٍ في ثقافتها وممارستها، وتختلق مختلف التبريرات لتزكية وتقديس ما هي عليه. يقول تعالى منددًا بمثل هذه الحالة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾. [سورة النساء، الآية: ٤٩]. إنّهم يزكون أنفسهم، أيْ يزعمون خلوّهم ونزاهتهم عن الشوائب والنواقص. لكنّ ذلك لا يحصل بالادّعاء والتبجح، بل بالتزام القيم الإلهية العادلة. وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾. [سورة النجم، الآية: ٣٢].

وبعض الأخطاء والانحرافات قد تتجذّر في المجتمع لمرور زمن عليها، فيألفها الناس، ويرفضون نقدها، ويمتنعون عن تغييرها، خاصة ما يكون منها ذا صبغة دينية. وقد تتشكل مراكز قوى في المجتمع، تستفيد من وجود تلك الأخطاء، فتستميت في الدفاع عنها، وتواجه أيّ نقد أو محاولة لتغييرها. لكنّ القيادة الواعية المخلصة، تتجاوز هذه الصعوبات والعقبات، لتقوم بواجبها في تصحيح الأخطاء والانحرافات في ساحة المجتمع، ولو كلّفها ذلك بعض الأعباء، أو سبب لها ضررًا وإيذاءً.

الإمام الصادق عليه السلام ودوره الريادي

وهذا ما نجده في سيرة الإمام جعفر الصادق عليه السلام (٨٣- ١٤٨هـ)، الذي تحمّل أعباء الإمامة بعد أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام، وقاد مدرسة أهل البيت عليهم السلام لثلاثة عقود ونصف من الزمن، وهو أطول الأئمة عمرًا، فعمره الشريف ٦٥ عامًا.

وقد واصل الدور الريادي الكبير الذي قام به أبوه الإمام الباقر عليه السلام، حيث استثمر الظروف السياسية والاجتماعية المناسبة، لتأسيس مدرسة علمية دينية استوعبت الآلاف من الراغبين في العلم والمعرفة من أبناء الأمة، ونشر من خلالها معارف أهل البيت عليهم السلام وعلومهم، وتخرج منها العلماء في مختلف التخصصات العلمية.

وفي عهد الإمام الصادق عليه السلام، ومع انتشار تيار الولاء والتشيّع لأهل البيت عليهم السلام في ساحة الأمة، وإتاحة الفرصة للتحدّث عنهم، فقد برزت بعض الظواهر السلبية، والتحدّيات الخطيرة، داخل هذا التيار الموالي لأهل البيت عليهم السلام. فتصدّى لها الإمام الصادق عليه السلام، وأعطاها الأولوية في توجيهاته وأحاديثه، لتشخيص تلك الثغرات ومواقع الخلل، ونقدها وتقويمها، من أجل محاصرتها وتنقية أجواء التشيّع منها.

ويجد الباحث في سيرة الإمام الصادق عليه السلام، وفي الروايات التي أسندت إليه، ورُويت عنه، عشرات النصوص التي تتضمن النقد والتقويم، لظواهر ثقافية وسلوكية كان يعاني منها الوسط الاجتماعي المحيط بالإمام. ويمكن تصنيف تلك المعالجات النقدية التقويمية، التي أبداها الإمام داخل محيط دائرة أتباعه، والموالين له، ضمن العناوين التالية:

١. تضخّم الولاء العاطفي على حساب الالتزام السلوكي.
٢. الغلو المرفوض.
٣. الدسّ والاختلاق على أهل البيت عليهم السلام.
٤. احتراف الخصومة والجدل المذهبي.
٥. الانغلاق والعزلة عن جمهور الأمة.
٦. استفزاز الآخر.
٧. ضعف التكافل الاجتماعي.
٨. عدم استيعاب الاختلاف الداخلي.

تضخّم الولاء العاطفي على حساب الالتزام السلوكي

فشلت جهود الأمويين في التعتيم على فضائل أهل البيت عليهم السلام، حيث ظهرت بعض مناقبهم وخصائصهم، وسعة علمهم، والأحاديث النبوية في حقّهم، على نطاق واسع من جمهور الأمة، ورأى الناس بالمشاهدة والمعايشة لهم طهارة نفوسهم، وعظيم أخلاقهم، فمالت القلوب إلى محبتهم، وامتلأت النفوس إعجابًا وانبهارًا بشخصياتهم الفريدة. وهذا ما أشار إليه العالم اللغوي المعروف الخليل بن أحمد الفراهيدي (توفي ١٧٣هـ) في حديثه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، حيث نقل عنه قوله: "ماذا أقول في رجل أخفت أولياؤه فضائله خوفًا، وأخفت أعداؤه فضائله حسدًا، وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين؟".

كما أنّ ما وقع على أهل البيت عليهم السلام، من ظلم وجور المناوئين لهم، خاصة فاجعة كربلاء، أوجدت تعاطفًا وتفاعلًا إيجابيًا كبيرًا تجاه أهل البيت عليهم السلام في أوساط أبناء الأمة، وكانت عنصر جذب للناس نحوهم، حتى إنّ العباسيين في صراعهم مع الأمويين رفعوا شعار "إلى الرضا من آل محمد".

لكنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام ما كانوا يبحثون عن عاشقين ومحبّين ومعجبين بهم، على مستوى العواطف والأحاسيس فقط، بل كانوا يريدون ترجمة ذلك سلوكًا واتباعًا لنهجهم، بالالتزام بقيم الدين ومبادئه على المستوى السلوكي والعملي. وكان هناك من يروّج في أوساط الموالين لأهل البيت عليهم السلام، بأنّ محبتهم والتعاطف معهم، تكفي للنجاة والفوز عند الله، وبها يتم واجب المودة التي أمر الله بها، بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. [سورة الشورى، الآية: ٢٣].

وقد جاء في رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى المفضّل بن عمر: «أَنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّ الَّذِينَ إِنَّمَا هُوَ مَعْرِفَةُ الرِّجَالِ [أي الأئمة]، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا عَرَفْتَهُمْ فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ». بل روج بعض الغلاة أنه لا حاجة للصلاة والصوم مع حب الأئمة، وهو كفارة عن كل الذنوب والمعاصي.

التأكيد على الالتزام بالقيم والأحكام

وردًّا على هذا الاتجاه، ورفضًا لهذه الفكرة، نجد كثافة الأحاديث والتوجيهات الصادرة عن الإمام الصادق عليه السلام في محاصرة هذه الظاهرة، وتوعية المجتمع الشيعي بخطئها وانحرافها، والتأكيد على الالتزام السلوكي بقيم الدين وأحكامه، وأنّ المحبة والولاء العاطفي لأهل البيت عليهم السلام لا يغني أبدًا عن الالتزام العملي بالدين والأخلاق الفاضلة. بل يجب أن يكون دافعًا لذلك.

أما النصوص التي يظهر منها تأثير الولاء والمحبة في نيل رضا الله تعالى وتجاوز عقوبات الذنوب، مثل الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حُبُّ عَلِيٍّ حَسَنَةٌ لاَ تُضِرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ»، فالمقصود منها السيئة التي تحصل عن جهل وغفلة، أو ضعف إرادة في لحظة ما، وليس السيئة التي تصدر من الإنسان عن قصد واستهانة بأمر الله تعالى، وتكون سلوكًا ومسارًا في حياته.

وإذا كان الله تعالى قد أخبرنا أنّ محبّته تقتضي اتباع شرعه، وإلّا فلا قيمة لها، فكيف بمحبّة النبي والإمام؟

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. [سورة آل عمران: الآية: ٣١].

نماذج من النصوص الهادية

ونستحضر هنا نماذج مما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا السياق.

جاء عنه: «إِنَّمَا شِيعَةُ جَعْفَرٍ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَاشْتَدَّ جِهَادُهُ وَعَمِلَ لِخَالِقِهِ وَرَجَا ثَوَابَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ».

وعنه: «امْتَحِنُوا شِيعَتَنَا عِنْدَ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ كَيْفَ مُحَافَظَتُهُمْ عَلَيْهَا».

وعنه: «لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ قَالَ بِلِسَانِهِ وَخَالَفَنَا فِي أَعْمَالِنَا وَآثَارِنَا».

وعنه: «لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنَا مَنْ يَكُونُ فِي مِصْرٍ يَكُونُ فِيهِ مِائَةُ أَلْفٍ وَيَكُونُ فِي الْمِصْرِ أَوْرَعُ مِنْهُ».

وعَنْ جَابِرٍ الجعفي أَنَّ الإمام محمد الباقر عليه السلام قَالَ له: «يَا جَابِرُ، أَيَكْتَفِي مَنِ انْتَحَلَ التَّشَيُّعَ أَنْ يَقُولَ بِحُبِّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَوَ اللَّهِ مَا شِيعَتُنَا إِلَّا مَنِ اتَّقَى اللَّهَ وَأَطَاعَهُ... يَا جَابِرُ، لَا تَذْهَبَنَّ بِكَ الْمَذَاهِبُ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ أُحِبُّ عَلِيًّا وَأَتَوَلَّاهُ ثُمَّ لَا يَكُونَ مَعَ ذَلِكَ فَعَّالًا، فَلَوْ قَالَ إِنِّي أُحِبُّ رَسُولَ اللَّهِ- فَرَسُولُ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُ سِيرَتَهُ وَلَا يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ مَا نَفَعَهُ حُبُّهُ إِيَّاهُ شَيْئًا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ... يَا جَابِرُ، وَاللَّهِ مَا يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَمَا مَعَنَا بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَلَا عَلَى اللَّهِ لِأَحَدٍ مِنْ حُجَّةٍ مَنْ كَانَ لِلَّهِ مُطِيعًا فَهُوَ لَنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ، وَمَا تُنَالُ وَلَايَتُنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ وَالْوَرَعِ».

ما أحوج مجتمعاتنا الشيعية في هذا الزمن، إلى استحضار مثل هذه التوجيهات للإمام جعفر الصادق عليه السلام لمواجهة تأثير التيارات الشعبوية التي تضخّم الولاء العاطفي لأهل البيت عليهم السلام على حساب الالتزام السلوكي، وهو ما تصدّى الإمام الصادق عليه السلام لمواجهته والتحذير منه.

المصدر: مكتب الشيخ حسن الصفار ٣ / ٥ / ٢٠٢٤م

ملاحظة

مكتبة السيّد محمد حسن الطالقاني: منارة التراث العلمي والأدبي في النجف الأشرف

الشيخ محمد الأنبوهي

تمهيد

تُعدّ مدينة النجف الأشرف من أهمّ الحواضر العلمية والأدبية العريقة، وقد أنجبت على مرّ العصور نخبة من العلماء والأدباء والمفكرين في شتّى المجالات. هذا الإرث العلمي العميق أفرز حركة فكرية ضخمة كان من نتاجها قيام العديد من المكتبات العامّة والخاصّة التي حفظت كنوز العلم والتراث.

ومن أبرز هذه المكتبات المكتبة الخاصة بالعلّامة السيّد محمد حسن الطالقاني رحمه الله، التي تميّزت بتنوّع محتواها وغناها بالكتب والمخطوطات والمقتنيات الثمينة.

مكانته العلمية

ينحدر السيّد محمد حسن الطالقاني من أسرة علمية عريقة عُرفت بالعلم والسياسة، غير أنّه لم يكتفِ بشرف النسب، بل جمع إلى ذلك تحصيلاً علمياً متيناً حوزوياً وأكاديمياً، مما جعل ثقافته شاملة ومتنوّعة.

وقد نال عدداً كبيراً من إجازات الرواية من كبار علماء الطائفة، أمثال: الشيخ آغا بزرك الطهراني، والعلّامة الأوردبادي، والسيّد الخوئي، والسيّد السبزواري، والشيخ المظفر، والسيّد البوجنوردي، والشيخ آل ياسين، والسيّد شرف الدين وغيرهم، وقد وصفوه جميعاً بأرفع الأوصاف الدالة على مكانته العلمية والأدبية المتميزة.

كما تجلّت منزلته من خلال ما كتبه العلماء من تقاريظ على تحقيقاته وبحوثه، إذ كان منذ شبابه أحد أبرز وجوه البحث والتحقيق في النجف.

أثره وأثر أسرته في حفظ التراث

أسرة الطالقاني كان لها دور بارز في حفظ التراث الديني والثقافي النجفي. وقد أولى السيّد محمد حسن الطالقاني اهتماماً بالغاً بجمع الكتب والمخطوطات والمقتنيات التراثية والفنية، حفاظاً على الهوية الثقافية والفكرية للنجف الأشرف وللتشيّع عموماً.

ومن أبرز إنجازاته إسهامه في إصدار مجلّة "المعارف"، التي كانت أول مجلّة علمية وثقافية تصدر عن النجف الأشرف بإشراف عالم نجفي، وذلك بعد قيام النظام الجمهوري في العراق عام ١٩٥٨، أي بعد نحو أربعة أشهر من الثورة.

نشأة المكتبة وتطوّرها

تعود جذور مكتبة آل الطالقاني إلى القرن العاشر الهجري، حين جاء جدّ الأسرة السيّد القاضي جلال الدين الطالقاني إلى النجف الأشرف وأسس مكتبته الخاصة في منزله، الذي كان ملتقى للعلماء والفضلاء.

مرّت المكتبة عبر الأجيال بعدة مراحل، حتى وصلت إلى السيّد محمد حسن الطالقاني الذي أعاد بناءها ووسّع محتواها كثيراً، فاشترى العديد من المخطوطات والكتب النادرة، حتى باع بعض أراضيه من أجلها.

محتويات المكتبة

تضم المكتبة كنوزاً من المخطوطات والكتب المطبوعة والوثائق النادرة والمراسلات الشخصية والصور التاريخية، وتشمل مجالات واسعة من العلوم والفنون والتراث.

المباني التابعة للمكتبة

تقع مكتبة السيّد الطالقاني في منطقة خان المخضّر في النجف الأشرف، وتُعدّ من أبرز المعالم الثقافية فيها.

تضم المكتبة سرداباً يضمّ قبور السيّد محمد حسن الطالقاني ووالديه وبعض أفراد أسرته (قدّس الله أسرارهم).

وترتبط بها عدة مبانٍ أخرى، منها:

- بيت قرب خان المخضّر يضمّ وحدة تراث السيّد الطالقاني التابعة لمركز إحياء التراث الثقافي والديني في العتبة الحسينية المقدّسة.
- بيت في حي الأمير يُستخدم كمخزن للمخطوطات.
- بيت آخر في كربلاء المقدسة لحفظ قسم من المقتنيات.
- كما توجد بعض المخطوطات في خارج العراق أيضاً.

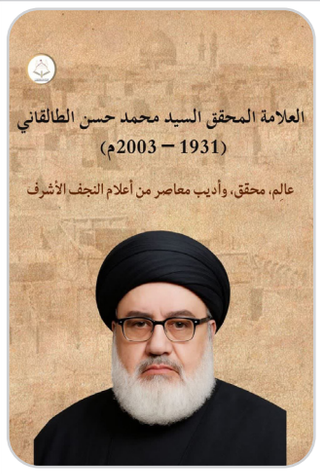

نشاطاتها الحالية

تعمل المكتبة حالياً على تحقيق عدد من المخطوطات النادرة، وإعداد فهارس علمية لها، وللوثائق التي تحتفظ بها، وذلك بالتعاون مع مراكز العتبات المقدّسة ومؤسسات التراث.

أهمّية المكتبة

تُعدّ مكتبة السيّد محمد حسن الطالقاني من المكتبات التراثية النفيسة التي تثري الساحة العلمية والأدبية في النجف والعراق عامة، إذ تُعدّ مصدراً مهماً للباحثين والمحققين والمهتمين بالتراث الإسلامي النجفي.

شعر وقصيدة

أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي

في مودة أهل البيت عليهم السلام

يا آل بيت رسول الله حُبّكم
فرضٌ من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم
من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

***

قالوا ترفّضتَ قلت كلا
ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليتُ غير شكّ
خير إمامٍ وخير هادِ
إن كان حبّ الولي رفضاً
فإنّ رفضي إلى العبادِ

***

لو فتّشوا قلبي لألفوا به
سطرين قد خُطّا بلا كاتبِ
العدل والتوحيد في جانبٍ
وحبّ أهل البيت في جانبِ

***

لئن كان ذنبي حبّ آل محمد
فذلك ذنبٌ لست عنه أتوبُ
هم شفعائي يوم حشري وموقفي
وبغضهم للشافعيّ ذنوبُ

نصيحة نفسية

يقين المؤمن بين خيبة وأمل

المؤمن قلبه راسخ لا تهزه خيبة، ولا تُربكه تقلّبات الأيام، لأنه يدرك أن زمام الأمور ليس بيده، بل هو في يدِ رحيمةٍ عليمةٍ، تُدبّر بحكمةٍ لا تُخطئ ولا تغيب.

يرى في كل تعثّر علماً يتعلمه، وفي كل تأخير خيرًا يُدّخر له، وفي كل كسرٍ لمسةَ لطفٍ من ربٍ كريمٍ يُصلح ما انكسر، ويجبر ما انثنى، ويزرع في قلبه الطمأنينة رغم العثرات.

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي
Alafagh1444
@gmail.com